الفلسطينيون في كندا...

تطور الوجود وتحديات الدور

ورقة حقائـــق

أيار/ مايو 2023

للاجئين
بوابة اللاجئين الفلسطينيين
Palestinian Refugees Portal

تشكل الوجود الفلسطيني في كندا كجزء من تداعيات النكبة الفلسطينية وما سبقها وتلاها من سياسات التهجير التي اعتمدها كيان الاحتلال كخط ثابت في تعامله مع وجود الشعب الفلسطيني على أرضه التاريخية.

هناك أهمية للنظر في الظروف والعوامل التفصيلية التي أثرت في كل من موجات اللجوء الفلسطيني إلى كندا، كجزء من الفهم التفصيلي لدور هذه العوامل في تحديد ملامح هذا الوجود وتمثلاته السياسية والهوياتية والاجتماعية، وإلى جانب ذلك هناك حاجة لفهم ارتباطه بسياق فلسطيني أعم، شهد تحولات كبرى على مستوى البنى السياسية والمؤسسية وعلاقتها بالشتات الفلسطيني وتصوراتها حول دوره وتمثيله.

والعامل الآخر الذي يجب الوقوف عنده في أي مقاربة أو قراءة للوجود الفلسطيني في كندا، هو سياسات الدولة، والتناقض بين انحياز هذا البلد للكيان الصهيوني ومواقفه السلبية من الحقوق السياسية للشعب الفلسطيني، وفي الوقت ذاته استعداده لاستقبال اللاجئين الفلسطينيين، وهي سياسات كثيراً ما فسرها الفلسطينيون باعتبارها جزءاً من مسعى دولي لتوطينهم وحرمانهم من حق العودة لبلادهم.

إن النظر للفقر النسبي للتجربة والممارسة السياسية للوجود الفلسطيني في كندا قياساً بنظرائهم في الولايات المتحدة الأمريكية، المركز السياسي النشط، يعزز وجهة النظر بشأن السياسات الكندية، وكونها ترمي إلى خلق مساحة لاستيعاب الفلسطينيين للعيش كأفراد في حيز غير مسيس منفصلين عن بعضهم وعن قضيتهم، فيما تبدو مؤشرات عديدة حول نشاط الفلسطينيين الكنديين مغايرة لهذه السردية.

تضع هذه الورقة مجموعة من الحقائق والمعطيات الرئيسية، كأرضية للنظر إلى المجتمع الفلسطيني في كندا وآفاق وجوده، والأدوار السياسية والمجتمعية ضمنه، وكذلك علاقته مع مسار كفاح اللاجئين الفلسطينيين لأجل حقوقهم، وفي مقدمتها حقهم بالعودة.

مراحل الهجرة الفلسطينية إلى كندا

لا تحتوي معظم المصادر على مؤشرات واضحة حول وجود الفلسطينيين في كندا قبل نكبة عام 1948 وتهجير معظم الفلسطينيين من أرضهم على يد العصابات الصهيونية الغازية، وحتى خلال الفترة ما بين نكبة عام 1948 ونكسة حزيران 1967، فقد اقتصرت حالات الهجرة على أفراد معدودين،

فيما يمكن الإشارة إلى الفترة بعد نكسة حزيران باعتبارها المرحلة الأولى في اللجوء الفلسطيني لكندا، حيث نشطت حركة اللجوء الفلسطيني إلى خارج فلسطين، بل إلى خارج الإقليم، وأوصلت حركة التهجير التي تعرّض لها الفلسطينيون العديد منهم إلى كندا، وفي بدايات تلك المرحلة وصل العشرات من فلسطينيي 48 إلى هذا البلد، وكان معظم الواصلين من مسيحيي (مدينة الناصرة) وقضائها.

يشير عدد من شهادات المهاجرين الفلسطينيين إلى كندا، إلى أن هناك يداً خفية لـ "إسرائيل" في تشجيع الحكومة الكندية على استقبالهم كجزء من سياسة إفراغ المدن الفلسطينية العربية في الداخل المحتل من سكانها الأصليين، لكن لم يكن الوجود الفلسطيني في كندا نتاج هذه السياسة وحدها، فقد حُمِلَ عددٌ من الطلاب الفلسطينيين إليها عقب إنهاء دراستهم في أوروبا، وكذلك عدد من الأكاديميين الفلسطينيين الذين اتجهوا إلى كندا بحثاً عن الاستقرار وفرص العمل في بلاد بدت مليئة بالفرص الواعدة، وتضمن تعاملاً إنسانياً لائقاً مع اللاجئين إليها، وتعمل على استقطاب الكفاءات وذوي القدرات العلمية.

تشكلت موجة الهجرة الفلسطينية الثانية باتجاه كندا، نتيجة تصعيد السياسات "الإسرائيلية" ضد الفلسطينيين سياسياً واقتصادياً على الفلسطينيين في الداخل المحتل، على جانبي الخط الأخضر، ومع ذلك فإن أعداد الفلسطينيين حتى بداية الثمانينيات لم تتجاوز في كندا (5 آلاف) لاجئ.

مع بداية الثمانينيات صارت مجموعات الفلسطينيين إلى كندا تأتي من مناطق وجود الفلسطينيين في مخيمات الشتات، فبعد الاجتياح "الإسرائيلي" للبنان وارتكاب الجيش "الإسرائيلي" مجزرة صبرا وشاتيلا، تحولت كندا إلى إحدى الوجهات التي سلكها اللاجئون الفلسطينيون في لبنان، إلا أن الموجة الأكبر من هجرة الفلسطينيين إلى كندا جاءت بعد الاجتياح العراقي للكويت حيث تعرض الفلسطينيون في الكويت للطرد وتهجير عشرات الآلاف منهم ومن الفلسطينيين في الخليج بالعموم، وساهم في ذلك تعديل قوانين الإقامة في الدول الخليجية التي فرضت خروج الأبناء الذكور فوق سن الـ 18 من الفلسطينيين مع ذويهم المقيمين، حيث شهدت تلك الفترة هجرة ما يقارب (10 آلاف) فلسطيني من مختلف دول الخليج، شكلت مدخرات الفلسطينيين في دول الخليج ومؤهلاتهم العلمية كونهم (مهندسين،

محاسبين، أطباء..) محل جذب وعاملاً مُيَسِّراً للموافقة على طلباتهم للهجرة لكندا.

شكل اندلاع انتفاضة الأقصى عام 2000 وسلسلة المجازر التي ارتكبتها قوات الاحتلال ضد الفلسطينيين في الأرض المحتلة عاملاً إضافياً، شكل دافعاً كبيراً لعشرات آلاف الشباب من فلسطين وتحديداً من الضفة الغربية للذهاب إلى كندا، ما دفع إلى ارتفاع عداد الفلسطينيين في تلك البلاد إلى ما بين (40 – 50 ألف مهاجر).

وجود الجالية الفلسطينية وتمركزها في كندا

وفقاً لـ "دائرة شؤون المغتربين في منظمة التحرير الفلسطينية" حيث أشار مديرها العام السيد (حسين عبد الخالق) في العام 2022 إلى أن عدد أبناء الجالية الفلسطينية في كندا صار يقارب (30 ألف نسمة) متمركزين في مدينة "مسي سكا"، "مقاطعة أونتاريو"، "كيوبيك"، "بريتش"، "كولومبيا" بشكل رئيسي، فيما بقيتهم موزعون في مناطق مختلفة داخل البلاد، ومع ذلك تشير معظم التقديرات الأخرى إلى أن عدد الفلسطينيين في كندا يصل إلى حوالي 50 ألف لاجئ فلسطيني على الأقل، خصوصاً في ظل

استمرار وصول أعداد جديدة من الفلسطينيين للجوء في كندا، سواء أولئك الذين اتجهوا إليها من سوريا ولبنان أو قطاع غزة، بعد وصولهم للولايات المتحدة عبر مسالك مختلفة للهجرة غير الشرعية، أو من خلال طلبات وبرامج الهجرة المباشرة لكندا.

في الجانب الاقتصادي الاجتماعي تشير المصادر إلى تنوع في الأعمال التي يمتهنها الفلسطينيون على الأراضي الكندية، خصوصاً أن نوعية هؤلاء المهاجرين تاريخياً كانت من أصحاب الكفاءة المهنية والتخصصات العلمية، وهو ما جعل عدداً من الفلسطينيين يشغلون مناصب هامة كـ (رؤساء جامعات، وأطباء وأصحاب شركات ورؤوس أموال...)

على الرغم من كون أبناء الجالية الفلسطينية في كندا يتمتعون بحضور في وظائف ومراكز مهمة، ولديهم مساهماتهم داخل المجتمع المضيف، إلا أن الثقل الاجتماعي والسياسي للجالية لا يزال ضعيفاً، ولا يتناسب مع ما يأمله عموم الفلسطينيين من مجتمعاتهم في خارج فلسطين، وخصوصاً في ضوء استمرار السياسات الكندية في منحاها الداعم للكيان الصهيوني.

ويشار هنا إلى مواجهة أبناء الجالية عدداً من التحديات والقضايا المهمة سواء على المستوى الكندي العام، أو على المستوى التنظيمي، إلا أن السمة العامة لهذا الوجود تشير إلى ضعف الثقل السياسي والحضور المؤسساتي للفلسطينيين، في ظل انحياز كندي على المستوى الرسمي والإعلامي لصالح الرواية "الإسرائيلية" على حساب القضية الفلسطينية . [1]

تشكلت ظروف ضاغطة على المهاجرين إلى كندا بالعموم، وعلى الفلسطينيين كحالة هجرة مركبة ومعقدة، فقد تعرض عدد من اللاجئين الفلسطينيين القادمين لكندا من لبنان لتهديد الطرد بعد أحداث الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر 2001، كون عدد من الشباب الفلسطيني الواصل إلى هناك يعتبر وصولهم "غير قانوني" حيث إن معظمهم يعبرون إلى كندا عن طريق نقاط العبور الحدودية مع الولايات المتحدة فعملية ترحيل اللاجئين خاضعة لسلطة الهجرة والأجهزة الأمنية المختلفة، هذا بدوره أدى إلى وقوع المهاجرين في أيدي السلطات الأمريكية في أثناء عملية التهريب وسجنهم وفرض كفالة مالية تصل إلى (10 آلاف دولار) كي يتحرر من السجن، ويرحّل للبلد الأصلي.

بناء على ذلك تعرض عدد من اللاجئين والمهاجرين الفلسطينيين إلى كندا للترحيل القسري، بالرغم من أن السلطات الكندية تعلم جيداً أن عودتهم إلى فلسطين ومخيمات الشتات والبلدان التي جاؤوا منها ستكون محفوفة بظروف معقدة خاصة ممن ولدوا في مخيمات لجوء خارج أرض وطنهم [2] – وبشكل خاص اللاجئين الفلسطينيين في لبنان، علماً أنه ووفقاً للمواثيق والاتفاقيات الدولية التي تلتزم بها كندا، فإنها من المفترض أن تستقبل اللاجئين الفلسطينيين القادمين من لبنان؛ حيث إنها تصادق على منح حق اللجوء الثاني نتاج الحرمان من حق العمل وكلفة المعيشة وهو ما يتطابق تماماً مع حالة اللاجئين الفلسطينيين في لبنان الذين يتجهون للأراضي الكندية بقصد اللجوء.

اللاجئون الفلسطينيون ممن يحملون (بطاقة لاجئ) يقيم في كندا إلى حين دراسة ملفه، يحظون بمعاملة مساوية لباقي اللاجئين الذين تبدأ معاملات لجوئهم منذ أن تطأ أقدامهم الأراضي الكندية وهي عملية طويلة، وتستغرق وقتاً وجهداً، ولكن في المقابل يحصل اللاجئون في كندا على قدر كبير من الحقوق الاقتصادية والاجتماعية، بما يشمل (الخدمات الصحية، التعليم المجاني، الخدمات الاجتماعية المقدمة من مختلف الجهات المدعومة من دائرة

الهجرة واللجوء في كندا)، ويشمل سوق العمل الكندي الواسع فرصاً متعددة للاجئين من مختلف الجنسيات.

تعتبر مهمة الحفاظ على الهوية مع تحقيق الاندماج والتأثير المأمول في المجتمع الكندي، واحدة من أهم التحديات التي واجهت أبناء المجتمع الفلسطيني في هذا البلد، لأن الجيل الأول كان محدود الاندماج في المجتمع الكندي، في حين أن جيل الأبناء أكثر اندماجاً وهنا كانت الصعوبة في كيفية تحقيق التوازن بين الحفاظ على الهوية العربية الفلسطينية والاندماج في المجتمع الكندي. اليوم هناك عدد من أوائل الفلسطينيين الذين قدموا إلى كندا يُعرَّفون بأنهم كنديون من أصول فلسطينية، فمثلاً أول سيناتور كندي عربي هو من أصل فلسطيني واسمه "بيير ديباني" هاجر من فلسطين إلى لبنان عام 1948، ثم هاجر في خمسينيات القرن الماضي إلى كندا.

تحديات الدور والتمثيل الفلسطيني في الواقع الكندي

رغم أن تاريخ العلاقات الرسمية بين فلسطين وكندا معقد، وبدأ مع اعتراف منظمة التحرير الفلسطينية بـ"إسرائيل"، إلا أن كندا تعد تاريخياً من الدولة المنحازة لـ "إسرائيل" خاصة برفضها للقرارات الدولية المؤيدة لفلسطين

والمناهضة للاحتلال في الأمم المتحدة، فالعلاقات الفلسطينية الكندية على المستوى الرسمي جاءت عقب توقيع اتفاقية أوسلو، وفي عام 1993م افتتح مكتب الممثلية الكندية في مدينة رام الله، ليتولى مسؤولية إيصال المساعدات الاقتصادية والمساعدات التنموية إلى الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة، وفي المقابل جرى عام 1995 فتح مكتب لتمثيل المصالح الفلسطينية في العاصمة الكندية "أوتاوا"، تحت اسم المفوضية الفلسطينية العامة في كندا، وتعد الممثلية الدبلوماسية العُليا لدولة فلسطين.

يعمل الجيل الفلسطيني الجديد في بيئة سياسية ما يزال تأثير اللوبيات الصهيونية فيها فاعلاً وقوياً، وسياسات الحكومات الكندية تُظهر دعماً واضحاً للكيان الصهيوني، ومع ذلك فإن الجيل الفلسطيني الشاب يحاول مأسسة عمله بعيداً عن الانقسامات التي تؤثر في الجاليات، وتمثل أنشطة حركات ومجموعات مقاطعة "إسرائيل" محوراً أساسياً في هذا النشاط، وعنواناً لاشتباك مع اللوبي الصهيوني والأطراف الكندية الداعمة له، وفي عام 2015 عمل اليمين الكندي الداعم للكيان الصهيوني، على تشريع يجرم مقاطعة المنتجات "الإسرائيلية"، حيث سعت حكومة "ستيفن هاربر" المحافظة الداعمة كلياً لـ "إسرائيل التي يحمل "هاربر" جنسيتها، إلى إدراج

قانون ينص على كون مقاطعة "إسرائيل" "جريمة كراهية"، وفي عهد رئيس الوزراء "جاستين ترودو" ما زالت الحكومة تسعى غالباً في تصريحاتها ومواقفها للمساواة بين الضحايا الفلسطينيين ومجرمي الحرب الصهاينة، وتحافظ على العلاقات مع المؤسسات الأمنية والعسكرية الصهيونية، وتعقد معها صفقات تسليحية وأمنية ذات أبعاد متعددة.

بجانب أشكال النضال السياسي، فلقد حاول الفلسطينيون في كندا بشكل مستمر إيجاد صيغ مجتمعية وثقافية ومؤسسات وتجمعات ذات اهتمام بهويتهم المشتركة، حيث أسس الفلسطينيون في كندا مجموعة من المؤسسات التي تمثلهم في المدن الكندية، لعل أبرزها المؤسسات التالية:

- جمعية الكنديين العرب الفلسطينيين – أوتاوا: وتعرف اختصاراً (APAC)وهي تجمع بين الفلسطينيين الذين يعيشون في منطقة العاصمة الوطنية لكندا من أجل الأنشطة الثقافية والتعليمية.
- الجمعية العربية الفلسطينية – أونتاريو: وهي جمعية تأسست في العام 1967، وهي أول جمعية فلسطينية وثاني جمعية عربية في (تورنتو – أونتاريو)، حيث تركز نشاطاتها على النشاطات الاجتماعية والثقافية

التي تعنى بشؤون الجالية العربية بشكل عام والمجتمع الفلسطيني على نحو خاص، وهي من الجمعيات التي تقدم المساعدات للمهاجرين واللاجئين الجدد في كندا، وتعمل على مساعدتهم على حل مشاكلهم اليومية وتأهيلهم للاندماج في المجتمع الكندي، كما تتخصص الجمعية في تنظيم الفعاليات الاجتماعية والثقافية لتعريف المجتمع الكندي بقضية الشعب الفلسطيني.

- المؤسسة الكندية الفلسطينية – كيبيك: وهي مؤسسة تأسست في العام 1988، تعنى بالشأن الثقافي والاجتماعي والأعمال الخيرية، كذلك تنظم المؤسسة دورات في تعليم اللغة العربية للمجتمع العربي والكندي المعني بتعلم اللغة، كما تنظم فعاليات بقصد جمع التبرعات لصالح فلسطين.
- البيت الفلسطيني في تورينتو – كندا: وهو بمثابة مركز يمثل البيت الفلسطيني التعليمي والثقافي وهو منظمة غير ربحية تأسست في يونيو 1992 بجهود مشتركة من مختلف الجمعيات الفلسطينية في كندا، حيث إنه بمثابة المركز التربوي والثقافي والاجتماعي للمجتمع

الفلسطيني في منطقة تورنتو الكبرى (على وجه الخصوص) وفي كندا (بشكل عام).

مثّلت هذه المؤسسات والجمعيات ركيزة للجالية الفلسطينية في كندا، حيث تساند الفلسطينيين في مسائل اللجوء وتعليم الأبناء للغة العربية وتمثيلهم ثقافياً والتعريف بالقضية الفلسطينية حرصاً على تحقيق عملية اندماج آمنة، كذلك هناك عدد من المؤسسات الفلسطينية الأُخرى العاملة في كندا بقصد تمثيل وخدمة المجتمع الفلسطيني في كندا.

خاتمة

وقع الظروف السياسية في الساحة الفلسطينية لم يغب عن التأثير في ظروف الجالية الفلسطينية في كندا، وهي كغيرها من الجاليات الفلسطينية حول العالم، تعاني من انعكاسات المشاكل والانقسامات السياسية، سواء في البلاد العربية، أو في فلسطين على واقع وحياة أبناء مجتمعات الهجرة العربية، ومنهم الفلسطينيون، ذلك أن الانقسامات الحزبية والسياسية داخل فلسطين انعكست على الفلسطينيين في الخارج.

بينما شكلت الظروف السياسية والعمليات العسكرية والاستخباراتية "الإسرائيلية" المتعاقبة خاصة على مجتمعات اللاجئين الفلسطينيين في مختلف مناطق وجودهم عاملاً مساهماً في تشكل الجالية الفلسطينية في كندا، واستمرارية الهجرة إليها من قِبل الفلسطينيين خاصة من مخيمات اللجوء في الشتات الفلسطيني، إلا أن كندا لم تكن وجهة مثالية للفلسطينيين حيث إن السلطات الكندية لم تكن دولة متساهلة في استقبال المهاجرين الفلسطينيين أو تييسير معاملاتهم في الحصول على الإقامة في الأراضي الكندية، عدا عن موقفها السياسي والإعلامي المتحيز للرواية "الإسرائيلية" على حساب القضية الفلسطينية الأمر الذي شكل مناخاً سلبياً على الفلسطينيين في ظل الجو العام السياسي في بلد يتناسب اصطفافه مع كيان الاحتلال.

[1]حذف "فلسطين" من "CBC" يدل على تحيز كندا، عربي 21.

[2]الفلسطينيون في كندا: بين العنصرية وشبح الترحيل القسري، خالد بركات، عرب 48.